

## الازمة الخليجية وخسارة "داعش" الوشيكة في الموصل تغيران خريطة التحالفات في سوريا والمنطقة برمتها ..

هل نرى تقاربًا ايرانيًا تركيًا عراقيًا برعاية روسية؟ وهل تنضم قطر إلى التحالف الجديد؟

عبد الباري عطوان

ازدياد نيران الأزمة الخليجية اشتعالاً، وتراجع احتمالات الوصول إلى اتفاق سياسي ينهي حالة التوتر بين دولة قطر وخصومها الاربعة (السعودية، الامارات، مصر والبحرين)، وتورط تركيا بصورة مباشرة وارسالها قوات إلى الدوحة، كلها عوامل قد تتعكس بصورة ايجابية بالنسبة للأزمة السورية، وتكرس حالة التهدئة الحالية، خاصة إذا وضعنا في عين الاعتبار الخسائر الكبيرة التي منيت بها "الدولة الإسلامية" أو "داعش" في الموصل، وبدرجة أقل في اطراف مدينة الرقة عاصمتها الرسمية.

ربما هي المرة الأولى، ومنذ سبع سنوات تقريباً تتراجع فيها الأزمة السورية من مكانها الدائم على صدر الصفحات الأولى للصحف ونشرات الأخبار الرئيسية في محطات التلفزة، إلى الصفحات الداخلية، ولمصلحة تطورات نظيرتها الخليجية القطرية المتتسارعة.

تفسير هذا التراجع لا يحتاج إلى الكثير من الاجتهاد والبحث، فالاطراف الرئيسية المتورطة في الأزمة السورية حولت اهتمامها باتجاه نظيرتها الخليجية، فالخصمان اللدودان، أي قطر والمملكة العربية السعودية اختلفا على معظم القضايا العربية، واتفقا على هدف واحد وهو التسريع بإطاحة الرئيس السوري بشار الأسد وحكومته، وفتح أبواب خزائنهما وصناديقهما السيادية الطاحنة بالمليارات لتمويل الفصائل السورية المسلحة، وتوظيف أمبراطوريتهما الإعلامية للتحريض والتعبئة في هذا الاتجاه.

\*\*\*

المدام القطري السعودي لم يقتصر على الحربين الاقتصادية والاعلامية بين البلدين، وإنما بات نقطة استقطاب للقوى الإقليمية والعالمية أيضاً، وهو استقطاب تجاوز الكثير من المحرمات، وحول الاعداء إلى حلفاء، وفرض واقعاً سياسياً جديداً.

نشر أكثر ونقول إن تركيا وايران اللذين خاضا حرباً دموية، سواء بشكل مباشر، او غير مباشر، على

الارض السورية، باتا يقفان في خندق واحد، اي الخندق القطري، في مواجهة التحالف السعودي الاماراتي المصري البحريني، واذا كانت ايران اكتفت بفتح اجوائها وموانئها للطائرات والسفن القطرية فإن تركيا ذهبت الى ما هو ابعد من ذلك كثيرا عندما ارسلت قوات ودبابات ليس لحماية حليفها القطري من اي تدخل عسكري من قبل الجيران الخصوم، وانما ايضا من اي اضطرابات داخلية يعمل هؤلاء الخصوم على اشعال فتيلها لزعزعة استقرار النظام القطري على غرار ما حدث عام 1996.

زملاء صهايفون زاروا دمشق قبل اسبوع، قالوا ان اهل الحكم في سوريا في ذروة الارتياح من انفجار هذه الازمة بين اكثر دولتين وقفتا خلف "المؤامرة" التي استهدفتهما، واضافوا بأن شهر رمضان الماضي كان اكثر الشهور استقرارا وطبيعية منذ سنوات، واكدوا ان رجالات النظام في الصفين الاول والثاني يسيطر عليهم اعتقاد راسخ بأن ازمة بلادهم في طريقها للانتهاء، ان لم تكن قد انتهت فعلا، بالنظر الى قناعة راسخة بأن التطورات في معظمها تسير في صالحهم، وان فصائل المعارضة السياسية والعسكرية تعيش هذه الايام اسوأ اوضاعها، وتعاني من الاهمال والانقسامات الاضافية الناجمة عن تفاقم الازمة بين داعميها الخليجيين.

ان يؤكّد الرئيسان التركي رجب طيب اردوغان والروسي فلاديمير بوتين في اتصال هاتفي بينهما اجراء الاول، على اهمية التعاون لحل المسألة السورية، فهذا يعكس المتغيرات الرئيسية في المعادلة السورية التي تحدثنا عنها في بداية هذا المقال.

اسقاط النظام في سوريا لم يعد على قمة اولويات الرئيس اردوغان، ولا نبالغ اذا قلنا ان هذا الهدف تراجع الى مرتب متدني على هذا السلم، وتقدمت عليه اولويات اخرى مثل منع قيام دولة، او دولة كردية، في سوريا والعراق وتركيا نفسها، والتتصدي لخطر جدي يريد تغيير النظام القطري الحليف.

\*\*\*

تحالفات منطقة الشرق الاوسط من اكثر التحالفات العالمية تقلبا وتغيرا، وتنتقل من النقيض الى النقيض في طرفة عين، الم يكن الرئيس السوري بشار الاسد من اقرب الناس الى قلب الرئيس اردوغان، الم يكن العقيد معمر القذافي من ابرز اصدقاء امير دول قطر السابق حمد بن خليفة آل ثانية؟ الم تكن حركة "الاخوان المسلمين" من اقرب الحركات واكتراها وثوقا بالنسبة الى الاسرة السعودية الحاكمة.

الرئيس اردوغان يريد حل سلميا في سوريا بعد ان ادرك ان الحل العسكري بات مستحيلا، وان تركيا باتت تواجه تهديدا وجوديا متمثل في الدعم الامريكي المتمسّع للاكراد، ولا يمكن ان تواجه هذا التهديد بدون علاقات تحالفية جيدة مع سوريا والعراق وایران بعد ان خسرت الحليفين الامريكي وال سعودي.

الرئيس بوتين هو البوابة التي يمكن ان يدخل عبرها الرئيس اردوغان للوصول الى اتفاق مع التحالف الايراني العراقي السوري، وربما يضاف اليه القطري قريبا، فالعراق وبعد استعادته لمدينة الموصل، والتخلص من الجزء الاكبر من خط تنظيم "الدولة الاسلامية"، سيركز على كيفية استعادة دوره الاقليمي او

معظمها، وتفعيله في المحور الاقليمي الابراني.

مصالح الرئيسيين اردوغان والسد باتتا تلتقيان، ودون تنسيق، على اراضيه الازمة القطرية، التي يمكن ان تقرب بينهما بعد تنافر وتقاتل استمر سبع سنوات تقريباً، ولا غرابة في ذلك، الم نقل لكم ان تحالفات الشرق الاوسط وخصوماته هي الاكثر تقلباً في العالم بأسره؟